

السياحة المظلمة: الاستثمار في المآسي والتاريخ من أجل صناعة المقصد السياحي

– مع إشارة لحالة الجزائر –

Dark Tourism: Investing in Tragedies and History to Create a Tourism Destination - With a Reference to the Algerian Case -

الأمين كرواز*

جامعة باجي مختار – عنابة

EL amin Kerouaz

Badji Mokhtar-Annaba University

el-amine.kerouaz@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/24 تاريخ القبول: 2026/03/25 تاريخ النشر: 2026/04/30

ملخص

تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على السياحة المظلمة كظاهرة متنامية في السنوات الأخيرة، حيث تتجه المجتمعات نحو الاستثمار في المواقع التاريخية أو تلك التي شهدت تجارب مؤلمة أو معاناة سابقة لجذب السياح. ويهدف هذا النمط من السياحة إلى تحقيق فوائد اقتصادية واجتماعية، من خلال تحفيز النمو الإقليمي وزيادة العائدات المالية عبر منتجات سياحية قائمة على التعلم والفهم التاريخي، تركز الدراسة على كيفية استثمار المواقع المرتبطة بالحروب والكوارث الطبيعية وأحداث العنف لتقديم تجارب سياحية غنية، تساهم في إعادة بناء الهويات المحلية وتعزيز الروايات المجتمعية، دون استغلال المآسي الإنسانية، حيث يعتمد هذا النهج على سياسات سياحية مسؤولة تركز على الاحترام والوعي التاريخي، لضمان حساسية التجربة الإنسانية، كما تتناول الورقة البحثية إلى حالة الجزائر التي تمتلك في تاريخها محطات مؤلمة بإمكانها أن تمثل فرص حقيقية لتطوير هذا النمط من السياحة الذي أصبح له جمهوره الخاص، ما يتيح إمكانية الاستفادة من عوائده الاقتصادية ومنه الحفاظ على رمزية تاريخ البلاد بما يتضمنه من تضحيات عبر التاريخ.

الكلمات المفتاحية: السياحة المظلمة، المآسي، المعاناة، المقصد السياحي، الجزائر.

Abstract

This research paper highlights dark tourism as a growing phenomenon in recent years, in which societies increasingly invest in historical sites or locations marked by past suffering to attract visitors. This form of tourism seeks to generate economic and social benefits by promoting regional development and increasing revenue through experiences grounded in historical learning and understanding. The study examines how sites associated with wars, natural disasters, and acts of violence can provide meaningful tourist experiences that contribute to rebuilding local identities and reinforcing community narratives, without exploiting human tragedies. It emphasizes responsible tourism policies based on respect and historical awareness to ensure sensitivity to the human experience. The paper also considers the case of Algeria, whose history includes painful events that could offer genuine opportunities for developing this type of tourism, allowing the country to benefit economically while preserving the historical symbolism embedded in its past sacrifices.

Keywords: Dark tourism, Tragedies, Suffering, Tourist Destination, Algeria.

* المؤلف المرسل

● مقدمة

الترفيه والمتعة هما العنصران الأساسيان عند الحديث عن النشاط السياحي في أي زمان ومكان، إلا أن العوائد الاقتصادية الكبيرة لهذا النشاط، دفعت الكثير من الدول للاهتمام بقطاع السياحة وتطويره، ذلك من أجل الاستفادة القصوى من عوائده المالية في المقام الأول، وأيضاً لجعل هذا القطاع يقع في صميم تنمية المجتمعات المحلية، متجاوزين في ذلك النقاشات التي تثار حول إمكانية وجود انعكاسات سلبية لقطاع السياحة على المجتمعات المستقبلية بشكل عام، والتي من أهمها عدم انسجام الكثير من الأنشطة السياحية وخصوصيات المجتمعات المحلية، كل هذا تؤكد ما تعبر عنه الأرقام والتقارير المحلية والدولية من أن قطاع السياحة لم يبق مجرد نشاط إنساني الهدف منه الترفيه والمتعة، بل أصبح منذ عقود من الزمن بمثابة صناعة وقطاع اقتصادي قائم بذاته، أساسه اعتماد الدول على ما تتوفر عليه من إمكانيات طبيعية ومادية لتطوير هذا القطاع، لا ستقطاب أكبر عدد ممكن من السياح المحليين والدوليين لتحقيق أكبر كسب وعائد اقتصادي للدولة والمشتغلين من هذا بشكل عام.

على صعيد آخر، سيجد الباحث بأن النشاط السياحي ينقسم ويتعدد من حيث المقاصد، كما يزدهر أو ينكمش في أوقات محددة من السنة أو في دول مقارنة بدول أخرى، فالسياح يسافرون إلى دول معينة من أجل الاستمتاع بالتنوع الأيكولوجي، أو لممارسة هوايات أو رياضات معينة أو بغرض العلاج والاستفادة من تطور قطاع الصحة في دول معينة، أو قد يسافرون فقط من أجل الاستكشاف والتعرف على الخصائص الثقافية لدول ومجتمعات، تقع ضمن نطاقات حضارية أخرى غير تلك التي اعتادوا العيش فيها، المغزى من كل ذلك أن الغاية من السفر والسياحة تميزها التعدد والتنوع، أما أسبابه على تنوعها ووضوحها فإنه في بعض الأحيان تبقى غير مفهومة أو يصعب تفسيرها، ذلك عندما تتنافى ومنطق الاستمتاع الذي يعتبر منطق النشاط السياحي، لذا في هذا السياق يندرج موضوع هذه الورقة البحثية الذي يتطرق إلى مقاصد سياحية غير مألوفة اصطلاحاً على تسميتها بالسياحة المظلمة أو السوداء أو الداكنة.

فالشواهد التاريخية المعبرة عن المآسي والمعاناة بمختلف تجلياتها أصبحت تمثل صميم تجارب سياحية جديدة، أو بالأحرى مقاصد للسياحة المظلمة، فلم تعد هذه الشواهد والمآسي مجرد تعبير تاريخي عن الألم الذي تسببت فيه البشر لنظرائهم، بل يفرصة يمكن استثمارها من أجل الجذب السياحي، ما دام أن هناك مجموعات من السياح عبر العالم من المهتمين بالسفر وزيارة مثل هذه الأماكن بغرض الاقتراب منها أكثر، حيث تبين الدراسات في هذا المجال عن تزايد أعداد هذا النوع من السياح عبر العالم من عام إلى آخر، كما برزت مقاصد سياحية مظلمة جديدة في عدة دول، الأمر الذي انعكس على تضاعف أرقام العوائد الاقتصادية لهذا النوع من السياحة، كما بدأت دول أخرى للاستثمار فيه من أجل تنمية مجتمعاتها المحلية، وتجاوز مآسي التاريخ من أجل المستقبل.

لذا وبالاستناد لما سبق، تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن سؤال مفاده:

- ما المقصود بالسياحة المظلمة؟ وكيف استطاعت الكثير من دول العالم الاستثمار في المآسي والتاريخ من أجل صناعة مقصد سياحي جديد؟ وهل بالإمكان الاستثمار في هذا النمط السياحي في الجزائر؟

وذلك من خلال استخدام المنهج الوصفي لتحليل ظاهرة السياحة المظلمة، ووصف طبيعتها وتحديد أبعادها، بغرض فهم التأثيرات الاجتماعية والثقافية لهذا النمط من السياحة التي أصبح لها زبائن ومهتمين بها وبمختلف منتجاتها، يتزايدون بشكل ملحوظ سنوياً.

1. السياحة المظلمة .. الخوف والمتعة عبر التاريخ

سياحة مظلمة أو سياحة سوداء، هي مصطلحات تعبر عن نوع غير مألوف أو تقليدي من المتعة لدى مجموعة من المسافرين إلى مناطق أخرى داخل أو خارج أوطانهم، من أجل الاستكشاف ومعايشة بعض من مآسي التاريخ ومعاناة البشر، ف ساحات الحروب ومناطق حدوث المجازر التي تورطت فيها دول أو جماعات بشرية أو حتى أفراد أصبحوا ذوو شهرة بسبب أفعالهم المنافية في كثير من الأحيان للمنطق البشري والفطرة السليمة، أصبحت مقصد مهم ضمن هذا النمط من النشاط السياحي يمتلك في رصيده أعداد كبيرة من الزوار المحليين والدوليين تتزايد سنوياً بشكل ملحوظ.

تاريخياً، وبالرغم من أن السياحة المظلمة كنشاط إنساني هي في الحقيقة لها شواهد في التاريخ، إلا أن محاولات تقديم تعريف علمي دقيق لها قد بدأت مع المحاولة التي قدمها كل من "مالكوم فولي Malcom Foley" و"جون لينون John Lennon" العام 1996، عندما اعتبرها بأنها زيارة للأماكن المتعلقة بالموت والمعاناة مثل مواقع الإعدام ومعسكرات الاعتقال ومواقع الكوارث الطبيعية أو غرف التعذيب، وغيرها من المواقع أو الأماكن المرتبطة بالموت (السباعي، 2022، الصفحات 255 - 256)، ففي كتابهما الصادر العام 2002 بعنوان: "السياحة السوداء: جاذبية الموت والكارثة"، اعتبر أن هذا النمط من السياحة لا يقتصر على زيارة المواقع التي شهدت فظائع أو كوارث، بل هو في الحقيقة نتاج لظروف العالم الحديث المتأخر، وفي الوقت نفسه عامل مؤثر في تشكيل تلك الظروف (Smith, 2002, p. 1188).

وفق هذا الفهم أيضاً، فإن أول إشارة حول هذا النوع من النشاط السياحي كانت خلال العام 1993 من طرف "كريس روجيك Chis Rojek" الذي تحدث عن ظاهرة التسويق التجاري بغرض جذب السياح للمواقع التي تحتوي على مقابر، أو تلك التي شهدت أحداثاً مأساوية انتهت بموت جماعة من البشر، أو المواقع السوداء كما سماها (قاسي، 2019، صفحة 236).

خلال العام 1996، قدم "A.V Seaton" نوع غير تقليدي من النشاط السياحي بمعايير ذلك الزمن والذي سماه سياحة الموت، والمتعلق بزيارة ساحات المعارك والحروب، حيث قدم للباحثين والمهتمين بقطاع السياحة بشكل عام مصطلح "Thanatourism"، والذي قصد به "اللقاء الفعلي أو الرمزي مع الموت"، أو بشكل أكثر دلالة يعني التحدث مع سيد الفعلي الموت، بذلك قدم تعريف مختلف للسياحة المظلمة وبأنها تعني "السفر إلى مكان ما بدافع كلي أو جزئي، بدافع الرغبة في لقاءات فعلية أو رمزية مع الموت، وخاصة، ولكن ليس حصرياً، الموت العنيف" (Duncan, 2017, p. 278).

في نفس السنة أيضاً، قدم "جون تونبريدج" و"أشوروت"، فكرة التراث المتنافر Dissonant Heritage، الفكرة التي قصدت من خلالها أنه حتى لو كانت هناك درجة معينة من التنافر ضمنية في طبيعة التراث نفسه، فإن ذلك لا يعني عدم وجود آثار أو ممارسات أو ذكريات تستحق اهتمام خاص بسبب أصل وسمات تنافرها، ففي رأيهما،

يمكن اعتبار التنافر سمة من سمات المكان، والتي تعتمد على ما ضيه بالإضافة إلى وجود مجتمعات أو مستخدمين تراث متضاربين، حيث قدما للمهتمين بقطاع السياحة، وبالأخص السياحة المظلمة ثلاثة مصادر رئيسية للتنافر (Una Europa, 2021):

1 - التنافر الضمني في التسليع.

2 - التنافر الضمني في منتجات المكان.

3 - التنافر الضمني في محتوى الرسائل.

فالتراث الموروث حسب "جون تونريدج" و"أشوروت" هو ذلك الجانب من الماضي المستخدم في الحاضر، والذي يعتبر أن المواقع والأشخاص لم تكن دوماً على تناغم وتوافق، وإنما كان من نصيبها أيضاً عدم الانسجام والتنافر، لذا فالتراث لا يحمل فقط معاني إيجابية بل في رصيده مخزون من الممارسات والأفكار السلبية، لذا بدأ البعض في استخدام مصطلح التراث المظلم (قا سي، صفحة 237)، للإشارة إلى ذلك التراث الإنساني الذي يهتم بالأماكن التي تدور حولها الأساطير والخرافات والحكايات والسحر والكوارث.

إذن، يمكن القول أن مفاهيم السياحة المظلمة أو السوداء لم تظهر من العدم، بل يمكن للباحثين والمهتمين بها كموضوع بحثي تحديد عدد من السوابق لإثبات مدى وجود هذا النوع من النشاط السياحي في الواقع، فعلى سبيل المثال فإن زيارة الأماكن المرتبطة بالموت ليست بالأمر الجديد، فلقد أنتج الأكاديميون (الذين يعملون إلى حد كبير في مجال السياحة التراثية) مجموعة كبيرة من الأبحاث حول السياحة في ساحات المعارك والمواقع المرتبطة بالحرب War Tourism، كما أن عدد من الباحثين قد لفتوا الانتباه خلال عقد التسعينات من القرن العشرين إلى وجود علاقة وثيقة ومتزايدة بين النشاط السياحي وأماكن الموت أو المعاناة، كما تناولت مجموعة أبحاث هذه العلاقة من منظور علم اجتماع الترفيه The Sociology of Entertainment، أين اكتشف "روجيك" الشعبية المتزايدة بين السياح لزيارة القبور والأماكن المرتبطة بوفاة المشاهير تحديداً، حيث وصف هذه الأماكن بكونها تمثل "بقع سوداء"، لقد فسر "روجيك" هذا الاتجاه من منظور ما بعد الحداثة، وخاصة دور المشهد وطمس التمييز بين الحقيقي والخيالي (Duncan, p. 278).

من ناحية أخرى، لا يمكن اعتبار أن السياحة المظلمة إنما هي نشاط إنساني من افرازات عالم ما بعد الحداثة كما اعتقد "روجيك" بسبب تركيزها على المشهد والتكاثف، وإنما هي سبيل للمتعة لدى مجموعة من البشر، حيث توجد شواهد تاريخية عديدة لسفر الناس إلى مناطق بعيدة عن أماكن إقامتهم لحضور ألعاب القتال أيام الإمبراطورية الرومانية، أو لمشاهدة الإعدامات العلنية ذات الطبيعة الاستعراضية في سنوات القرون الوسطى وحتى القرن التاسع عشر في الكثير من دول أوروبا أي قبل ديمقراطية مفهوم السفر بحد ذاته (Stone, 2005)، فعلى سبيل المثال نظمت في إنجلترا خلال العام 1838 رحلة عبر القطار لمجموعة من الناس لحضور عملية شنق رجلين قاتلين، أما في باريس خلال تلك السنوات فكانت زيارة المشارح أمر معتاد، كما اعتبرت ساحات المعارك بمثابة إحدى الوجهات السياحية التي استقطبت الآلاف من الزوار عبر السنين (السباعي، صفحة 254)، وكأن بالذين تحفزهم زيارة هذه المواقع، يستمتعون بمعايشة تجربة الموت والألم عن قرب في تلك المواقع، أو يحاولون استذكارها لتحقيق غايات قد تتجاوز مجرد المتعة والفرجة.

– التفسيرات النظرية لنشاط السياحة المظلمة

إن مهمة البحث عن الأسباب التي قد تدفع بعض الناس لاتخاذ قرار السفر نحو المواقع المختلفة للسياحة السوداء عبر العالم، هي مهمة معقدة تتقاطع فيها مجموعة من العلوم في محاولة تفكيك وفهم هذه الأسباب، حيث لن يكفي ما قد يقدمه علم الاقتصاد ما لم تدعم جهوده الدراسات النفسية والاجتماعية وربما الأنتربولوجية أيضاً، فلقد أثارت فكرة زيارة أماكن الموت والمعاناة عديد التساؤلات حول مدى مقبولة وملاءمة جعل هكذا أماكن المرتبطة مقصد سياحي يمكن الاستفادة منه مادياً، أي هل من المقبول أخلاقياً الاستثمار المادي في الموت والمعاناة؟، هذه التساؤلات انتقلت إلى الأوساط غير الأكاديمية على غرار وسائل الإعلام، التي رفعت من مستوى النقاش في هذا الموضوع إلى حالة الرعب الأخلاقي، وحول مدى منطقية زيارة واختيار قطاع عريض من الناس ممارسة نشاط سياحي في أماكن الموت (Duncan, p. 282)، حيث اعتقد كل من "سيتون Seaton" و"لينون Lennon" أن خيار الرحلات إلى عوالم الموت والمعاناة يمكن تفسيره (Stone, 2022, p. 326):

– أولاً: ظاهرة الشماتة (Schadenfreude)، أي المتعة الخفية في مشاهدة مصائب الآخرين، بوصفها دافعا رئيسا لزيارة مواقع الكوارث.

– ثانياً: تأمل الموت (Thanatopsis)، بمعنى التفكير في موت الذات، وهو عامل قد يكون حاضرا عند زيارة المواقع المظلمة.

أما النقاش الأخلاقي حول السياحة المظلمة، فقد كان أكثر جوهرية عندما أشار إلى كيفية تقديم الأماكن المرتبطة بالموت والمعاناة لزوارها، حيث زعمت الروايات المبكرة عن السياحة المظلمة أن عملية تسليع مواقع الموت والمآسي غالباً ما تعمل على تطهير أو تشويه الأحداث التاريخية المأساوية، بالتالي فقد تم المساس بالدور التعليمي لأماكن الموت من خلال التركيز على المشاهد الترفيهية، أما في دراسات التراث فقد كان النقاش حول عواقب تسليع "الحقيقة" التاريخية الراسخة، فمن جهته "هيويسون" قد زعم أن التراث كان "تاريخاً زائفاً" وأن العديد من مناطق الجذب التراثية كانت تقدم نسخة مطهرة من التاريخ تؤكد على الحنين إلى الماضي والطمأنينة، تم تطوير ادعاءات "هيويسون" من قبل باحثين آخرين الذين زعموا أن العديد من المواقع التراثية أعطت الأولوية للترفيه على التعليم والدقة التاريخية، بحيث كانت الرسائل المقدمة للزوار انتقائية أو جزئية، إن انتهاء الحديث والجدل حول "التاريخ الزائف" الذي سيحصل على حياة جديدة عندما تنبأ نمط السياحة المظلمة، في سياق آخر اكتسب النقاش في هذا الموضوع بعد إضافي، من خلال التركيز على مدى ملاءمة تحويل الموت إلى سلعة للاستهلاك السياحي. (Duncan, p. 283)

أما ميدانياً، فقد بينت الدراسات من أن خيار زيارة أماكن الموت والمعاناة والمآسي، تختلف مبرراته بين الزوار أنفسهم، حيث بينت دراسة (استبيان) أجريت العام 2022 من طرف موقع إلكتروني أمريكي مختص بالسفر، من أن 52٪ من المشاركين البالغ عددهم 900 مشارك يختارون الوجهات السياحية المظلمة من أجل التعلم وإثراء المكون الثقافي لديهم، في حين أقر الباقي 48٪ منهم من أن غرضهم من اختيار هذا النمط السياحي هو تقديم التقدير والتعاطف مع ضحايا الكوارث الإنسانية (بدرى، 2022، صفحة 257).

على العموم، لن يجد الباحث تعريف عالمي متفق عليه للسياحة المظلمة، إذ يعتمد كل باحث حاول تعريفها على تصوره الخاص لها، إلا أن الأدبيات التي تناولت هذا الموضوع بالدراسة قد استهدفت فهد الدوافع التي تتحكم في اتخاذ

قرار زيارة المقاصد السياحية المظلمة (Assylkhanova & Others, 2024, p. 415)، فالتعلم وحب الاستكشاف والشغف والرغبة بالمشاركة في مغامرات سياحية غير تقليدية، بالإضافة إلى سعي قطاعات عريضة من السياح إلى هكذا نوع من السياحة، بغرض معايشة التجارب المأساوية المرتبطة بالضرورة بالمعاناة بشكل قريب ومباشر، عبر زيارة المواقع التي شهدت هكذا أحداث، أو من أجل تقديم نوع من التعاطف أو إحياء الذاكرة حول هكذا أحداث، هي كلها مبررات يمكن استخدامها للفهم الدقيق وتقديم إجابات قد تبدو منطقية حول سؤال مفاده ما الدافع كي يختار الناس المشاركة في أنشطة السياحة المظلمة؟، إلا أن هذا لا يعني أن تحديد كل الدوافع هو بالشيء السهل، كون أن النشاط السياحي هو في المقام الأول نشاط إنساني، وأن الإنسان يصعب التنبؤ بكل دوافع وفهم اختياراته، المستندة أحياناً إلى دوافع غير منطقية.

2. السياحة المظلمة: منظومة واحدة ومنتجات متعددة

في معرض الحديث حول السياحة المظلمة التي بدأت تتطور عالمياً من حيث المقاصد وأعداد السياح، كغيرها من أنماط السياحة الأخرى، على اعتبار أن قطاع السياحة بشكل عام يعد واحد من أهم القطاعات الاقتصادية، بالنظر إلى حجم الاستثمارات التي يستقطبها والعوائد المالية التي يوفرها لصناع السياحة - بحسب مجلس السفر والسياحة العالمي، فإن قطاع السياحة العالمي، فإن السياحة تساهم بأكثر من 11 تريليون دولار في الاقتصاد العالمي أي بزيادة تقدر بـ 12% في سنة - ، بالتالي فإن موضوع السياحة المظلمة وإن اعتبرها المهتمين والدارسين بأنها ظاهرة قديمة، فإن منتجاتها الحديثة متعددة المعروفة أمام الزبائن أو بالأحرى السياح، عند الأخذ بعين الاعتبار مستوى التعقيدات التي تميزه عن أنماط السياحة الأخرى فيما يخص التصميم والأهداف والطبيعة، وبموجب هذا الفهم اشتهلوا على تحديد منتجات السياحة المظلمة باستناداً إلى التدرج اللوني - بالنظر إلى اللون الأسود الذي تم إسقاطه عليها - كون أن الاكتفاء تعريفها بأنها مظلمة أو سوداء فقط، يجعل من هذا التعريف فضفاضاً واسعاً، ليس من شأنه أن يسهل مهمة الكشف عن منتجاتها المتعددة (Stone, 2006, p. 150).

إحدى أهم الدراسات التي باشرت هذه المهمة تلك التي أجراها كل من "سترينج Strange" و"كيمبا Kempa" العام 2003، لما اشتغلا على المقارنة بين مؤسستين عقابيتين سابقتين، أصبحتا في وقت لاحق بمثابة منتج سياحي مظلم تستقطب أعداد كبيرة من السياح - الزوار من مختلف دول العالم، في محاولة منهما لفهم طبيعة التأثير المحدد للهيئات السياسية الخارجية على التفكير داخل هذه المؤسسات، لقد كانت المقارنة بين سجن "الكاتراز" الأمريكي السابق الذي كان مكان إقامة عتاة المجرمون ذات يوم، والذي أصبح يستهلكه السياح - الزوار من الذين شاهدوا أفلام عنه من إنتاج هوليوود كمنتج يعرف باسم "الصخرة"، وبين "جزيرة روبن" في جنوب إفريقيا المجمع العقابي السابق الخاص بالمساجين السياسيين إبان حكم نظام "الأبارتيد" وأشهرهم "نيلسون مانديلا".

لقد اقترح الباحثان أنه على الرغم من أن المؤسسات السابقتين الجزائيتين المتمتعان ببعض السمات التصميمية المشتركة، فإن الأجندات السياسية والثقافية التي تحيط بهما لها تأثير عميق على "مديري الذاكرة" الذين يسعون إلى

تفسير الماضي المظلم للموقعين، ففي حين أن عرض سجن "ألكاتراز" طغت عليه بالفعل القيم التجارية والترفيهية، فإن "جزيرة روبن" في المقابل لم تستسلم بعد لـ "إمكانات تسويق المنتزه الترفيهي"، كونها لا تزال محل درجة أعلى من النفوذ السياسي في تصميمها وتفسيرها، وعلى هذا النحو تعزز منتجاً للذكرى والاحتفال والتعليم، بالتالي "جزيرة روبن" ينظر إليها على أنها "أكثر جدية" في تمثيلها المعاصر للاعدلة الجزائرية (أو بالأحرى عدم العدالة) من نظيرها في "سجن ألكاتراز" (Stone, pp. 150 – 151).

على مستوى آخر حاول "مايلز" التفريق بين السياحة ذات اللون الداكن Dark ونظيرتها ذات اللون الأكثر قتامة Darker، وهذا بالاستناد إلى فكرة التحول الملحوظ في "الظلام" بين مختلف منتجات السياحة المظلمة، فبالعودة إلى البعد الزمني والتقارب المكاني مع الموقع، يقترح "مايلز" أن هناك فروق جوهرية بين مختلف المواقع المرتبطة بالموت والمعاناة، بحيث قد تكون التجارب السياحية في مواقع معينة أكثر ظلمة من مواقع أخرى، وهذا ما يبينه بشكل أوضح المخطط التالي:

الشكل رقم (01): مخطط "مايلز" لتدرج أطراف السياحة المظلمة



المصدر: نجاة قاسي. (2019). السياحة المظلمة: مقارنة نظرية. مجلة الاجتهاد القضائي، 11(1)، الصفحات 233 – 252.

إذن، فمنتجات السياحة المظلمة ليست واحدة، بل هي متعددة ومختلفة من حيث الشدة والتأثير على من يختارون زيارة المواقع المختلفة لهذا النوع من السياحة، يضاف إلى ذلك المدة الفاصلة بين وقوع الأحداث المأساوية في هذه المواقع، وتاريخ تحولها إلى مواقع سياحية، كما أن البعد السياسي والأيدولوجي من حيث التأثير فهو يرتفع وينخفض بين المنتجات المختلفة لهذا النوع من النشاط السياحي التي يختصرها "فليب ستون" في سبعة أشكال هي (Stone, pp. 152 – 157):

أ - **مصانع المرح المظلمة**، تتمثل في تلك المواقع السياحية والمعالم السياحية والجولات التي تركز بشكل أساسي على الترفيه والجوانب التجارية، والتي تقدم أحداث موت ورعب حقيقية أو خيالية، إن هذه الأنواع من المنتجات تمتلك درجة عالية من البنية الأساسية السياحية، وهي هادفة و"مركزة على المرح" في جوهرها.

ب - **المعارض المظلمة**، وتشير إلى المعارض والمواقع التي تمزج بشكل أساسي بين تصميم المنتج لتعكس التعليم وفرص التعلم المحتملة، حيث تقدم المعارض المظلمة منتجات تدور حول الموت أو المعاناة أو الكآبة برسالة تذكارية وتعليمية وتأملية في كثير من الأحيان، لذا عادة ما ينظر إلى هذه المنتجات على أنها أكثر "جدية" وتمتلك "حافة أكثر قتامة"، لذا يمكن تصنيفها بأنها الأكثر قتامة، وحتى مع امتلاك هذا النوع لأخلاقيات الحفاظ على البيئة، إلا أنها تتوفر على قدر محترم من البنية التحتية السياحية ومستوى نوعي من التركيز التجاري..

ج - **الزرنانات المظلمة**، تتمثل في تلك المواقع والمعالم السياحية التي تقدم قوانين العقوبات والعدالة القديمة للمستهلك الحالي، على غرار السجون السابقة أو المحاكم، توفر هذه المواقع مزيج من الترفيه والتعليم كركيزة رئيسية للسلع، كما تتمتع بمستوى عال نسبياً من البنية التحتية التجارية والسياحية، ما دام أنها عبارة عن مواقع لم تكن مخصصة في الأصل للسياحة المظلمة، بالتالي فالزرنانات المظلمة قد تحتل مركز "طيف السياحة المظلمة" بمزيج من العناصر المظلمة والخفيفة.

د - **أماكن الراحة المظلمة**، على غرار المقابر أو علامات القبور باعتبارها منتجات محتملة للسياحة المظلمة، حيث تمثل المقابر داخل المجتمع المعاصر أداة رومانسية، لذا فإن عمليات تجديد المناطق الحضرية عادة تأخذ في الحسبان سياحة المقابر باعتبارها آلية لتعزيز الزيارات إلى منطقة ما، ومنه الحفاظ على سلامة البنية التحتية للمناظر الطبيعية والهندسة المعمارية، ودعم البيئات المحلية، مع تزايد المراكز الأساسية التي يتم بناؤها حول هذه الأماكن المظلمة للراحة، وذلك بشكل رئيسي من خلال نشاطات منظمات المجتمع المدني، واستخدام الإنترنت والجولات الإرشادية الخاصة، فالمقبرة في لحظة ما قد تتحول بسرعة إلى مكان يسحر فيه الأحياء بالموتى، على سبيل المثال هنا "طريق المقابر" في إسبانيا التي أصبحت طرق تاريخية لمقابر المسلمين الأندلسيين، أو المقابر الجماعية للحرب الأهلية، أو حتى المقابر الملكية والشهيرة مثل مقبرة "سهل بن مالك" الأثرية في غرناطة، ومقبرة "البانثيون الملكي" في الإسكوريال، وهي أماكن تحمل إرثاً إسلامياً ومسيحياً عميقاً، مما يساعد على جذب الباحثين والمهتمين بالتاريخ والتراث الإسباني.

هـ - **المزارات المظلمة**، أو ما يعرف بالأضرحة المظلمة، وهي المواقع التي "تتاجر" بشكل أساسي في فعاليات إحياء ذكرى المتوفى حديثاً واحترامه، لذا غالباً ما يتم تشييد الأضرحة المظلمة إما بشكل رسمي أو غير رسمي بالقرب من موقع الوفاة، أو في غضون فترة زمنية قصيرة من حدوث الوفاة، لذا فهذا النوع من الأضرحة قد يمثل المحيط الأكثر قتامة من "طيف السياحة المظلمة"، ضف إلى ذلك هيمنة هذه الأنواع من الأحداث على أجندة وسائل الإعلام لفترات زمنية قصيرة نسبياً، مما يساعد ربط مستوى أعلى من الوعي السياسي والتأثير بموقع ضريح مظلم معين خلال "الفترة الإعلامية".

و - **مواقع الصراع المظلمة**، يطلق هذا الوصف على مواقع الحرب وميادين المعارك، التي تم تحويلها لاحقاً - بعد نهاية الصراع - إلى سلعة تجارية سياحية محتملة، والواقع أن مواقع الصراع المظلمة تركز بشكل أساسي على التعليم والتذكر مراحل حاسمة أو مظلمة من التاريخ.

ز - **معسكرات الإبادة الجماعية المظلمة**، هي المواقع التي تتمحور حول عمليات الإبادة الجماعية والفظائع والكوارث باعتبارها الموضوع الرئيسي للموت، لذا فإن هذه المواقع هي أشد مواقع السياحة المظلمة قتامة، كونها تقدم مستوى مرتفع من الرعب، فلقد كان الغرض من استقطاب الزوار إلى هذه المواقع هو توفير تجربة عاطفية في أقصى درجاتها، أين يشعر بها الزوار أثناء تجوالهم في هكذا مواقع، لذا يعتمد في تصميمها توفير فرص للتعليم والاحتفاء، فمعسكرات الإبادة الجماعية المظلمة لها القدرة على رواية قصص رهيبه موضوعها المعاناة البشرية، كما تتوفر على درجة عالية من الإيديولوجية السياسية.

3. نماذج من مواقع السياحة المظلمة عبر العالم: عندما تتقاطع معاناة البشر مع العوائد المادية

بعد تخطي مراحل الألم والمعاناة، اتجهت الكثير من الأطراف كالأفراد، الجماعات والدول للعمل على الاستثمار في مواقع المآسي المختلفة التي تروي حكايات الألم والموت، ذلك بتحويلها إلى مواقع سياحية من شأنها أن تستقطب الراغبين في زيارتها، من أجل إشباع حاجاتهم المختلفة أو التي قد تكون مزيج من الرغبة في المتعة والتعلم أو الاقتراب أكثر من ظاهرة الموت، فلقد كان الدافع الأساسي خلف هذا التوجه الأعداد المتزايدة للزوار والسياح عبر العالم الذين تستهويهم فكرة السفر داخل بلدانهم أو خارجها من أجل زيارة هذه المواقع، بالتالي في هذا الجزء من الورقة البحثية، وبعد أن تعرفنا على مختلف منتجات السياحة المظلمة، سنحاول التعرف على بعض من مواقعها الشهيرة المنتشرة عبر العالم، والتي على كثرة عددها اختارنا منها النماذج التالية:

أ - **النصب التذكاري ومتحف الإبادة الجماعية في رواندا**

يحيي الروانديون في السابع من أبريل كل سنة ذكرى الإبادة في موقع "غيسوزي" في العاصمة كيغالي، أين أقيم النصب التذكاري المخلد لذكرى ضحايا الإبادة الجماعية في البلاد، التي حدثت خلال العام 1994، كما يوجد متحف يوفر للزوار معلومات حول خلفية تلك الإبادة وتأثيراتها، في ذات الموقع الذي دفن فيه قرابة 250 ألف ضحية

السياحة المظلمة: الاستثمار في المآسي والتاريخ من أجل صناعة المقصد السياحي

قتلوا خلال 100 يوم من المحازر، والذي حولته حكومة البلاد منذ العام 2004 إلى موقع تذكاري يوثق قصص الضحايا، كما يضم الكثير من صورهم وممتلكاتهم الشخصية التي استطاعت لجان التوثيق جمعها منذ بدء العمل المؤسسي للتأريخ للإبادة عام 2000، أما الزائر للمتحف فيخالجه شعور بالرهبة والصدمة لحظة اقترابه من النصب التذكاري للإبادة الجماعية، فقد علقت على جدران إحدى القاعات صور للضحايا وقصاصات تروي بعضا من قصصهم، وتوثق المكتبة الملحقة بالموقع يوميات قاسية مرت على رواندا ككل، كما أنها تحتوي على أرشيف كامل من الصحف الأجنبية ومراسلات رسمية وشهادات للناجين ومحاضر المحاكم المحلية التي أنشئت بعد المحازر (مشتاق، 2024).

بهذا المنطق، حاول الروانديين انتقاء المشاعر التي تجمعهم كشعب واحد، وبدل استمرار الأحقاد بين المجموعات العرقية المكونة للمجتمع هنا، اختاروا تجاوز مرحلة مظلمة من تاريخهم، وتحويل تفاصيلها المأساوية لرسائل تعليمية قوية موجهة للأجيال الجديدة، مفادها أن الحق والانتقام من الآخر لا يبني الوطن، فذلك الآخر ليس عدو بل شريك في وطن واحد، وكذلك الحال لغير الروانديين بتوفير الصورة الحقيقية حول لمعاناة شعب في مرحلة لم يبلغ فيها صوته لعالم.

ب - متحف بيت الرعب بالمجر

تاريخيا يمثل المبنى المقر السابق للنظام النازي ثم النظام الشيوعي التابع للاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية في عاصمة البلد بودابست، وهو شاهد على استخدام كلا النظامين الطابق السفلي للمبنى كزنزانة احتجاز كبرى، وفي أعقاب نهاية الحقبة الشيوعية بدلت جهود لتحويل المبنى إلى متحف (Dalka, 2010)، بلغت هذه الجهود غايتها العام 2000 باقتناء "المؤسسة العامة لأبحاث تاريخ ومجتمع وسط وشرق أوروبا" المبنى، بهدف إنشاء متحف لتقديم عروض حول الفترتين الدمويتين من تاريخ البلاد، وبعد انتهاء أعمال البناء التي استمرت لمدة سنة، أين جدد المبنى بالكامل من الداخل والخارج، حيث عبر التصميم الداخلي والمظهر النهائي لمعرض المتحف والواجهة الخارجية للمبنى بمثابة نصب تذكاري لذكرى أولئك الذين تم أسرهم وتعذيبهم وقتلهم هناك، فلقد عمل القائمون على إعادة التجديد على تمكين المتحف من عرض الأحوال التي عانى منها المواطنون المحررين بطريقة ملموسة (فيديوهات وصوتيات لعدد من ضحايا النظامين الذين احتجزوا وعذبوا في المركز)، كي يستطيع الزوار فهم فكرة مفادها أن التضحية من أجل الحرية لم تذهب سدى (museums.eu, n.d.)، أفتتح المتحف العام 2002.

ج - متحف أوشفيتز في بولندا

المبنى الذي كان خلال الحقبة النازية والحرب العالمية الثانية معسكرا للاعتقال، أسسه الألمان بعد ضم المدينة البولندية العام 1940، كان السبب المباشر لإنشاء المعسكر هو الاعتقالات الجماعية للبولنديين الذين عجزت السجون المحلية القائمة عن استيعاب أعدادهم الكبيرة، مع الأيام أصبح المعسكر أكبر مراكز الإبادة أين تم تنفيذ

"Endlösung der Judenfrage" أو ما يعرف بالحل النهائي للمسألة اليهودية - الخطة النازية لقتل يهود أوروبا، خلال الحقبة النازية في بولندا -، تاريخيا تم تقسيم معسكر أو شفيتز إلى ثلاثة أقسام، عرفت لاحقا بتسميات أو شفيتز 1 وهو المعسكر الرئيسي تراوح عدد السجناء داخله حوالي 15 ألف معتقل، وارتفع في بعض الأحيان إلى أكثر من 20 ألف، أو شفيتز 2 الذي شرع الألمان في بناءه العام 1941، ضم أزيد من 90 ألف معتقل بحلول العام 1944، أو شفيتز 3 تأسس من حوالي أربعين معسكر فرعي، مع وجود إثباتات على استغلال النازيين سجناء المعتقل كعمال وعبيد في مختلف أنواع المصانع والمزارع الألمانية بين عامي 1942 و1944 (Museum, n.d.).

حسب الدليل التعريفي الموجود على الموقع الإلكتروني للمتحف، فإن زوار المتحف قد فاق عددهم منذ يوم الافتتاح وحتى سنة 2025، أزيد من ثلاثين مليون زائر من مختلف دول العالم، مع تقديرات يبلوغ زوار المتحف حاليا بحوالي المليون زائر سنويا، كما يزوره الكثير من قادة العالم، يعتبر المتحف بمثابة تحذير للبشرية من الخطر والمعاناة التي قد تسببها الحرب، في هذا السياق يمكن الاستشهاد بتصريح لسجين سابق في المعتقل ووزير خارجية بولندا السابق "فاوادي سواف بارتوشيفسكي" عندما قال: "أو شفيتشيم مقبرة هائلة بلا قبور، لم يعرف تاريخ العالم مثيلا لها، فأنت لا تستطيع أن تضع شاهدا أو وردة لذكرى ميت بعينه، لأن الأجساد فيها تتطاير مع الدخان نحو السماء، وهذا يتطلب منا أن نفعل شيئا".

الجدير بالذكر هنا هو التف سيرات المختلفة حول موقع أو شفيتز ذاته المتغيرة عبر الزمن، فخلال الحقبة الشيوعية البولندية استغل النظام الفظائع المرتكبة في أو شفيتز لتصوير نفسه بوصفه "منقذا نبيلًا" لضحايا نظام فاشي، مع تجاهل شبه تام لليهود، غير أن هذا التف سير تغير جذريا بعد سقوط جدار برلين، باتجاه تمثيل تاريخي أكثر دقة للأحداث، وذلك بدعم من متحف الهولوكوست التذكاري في الولايات المتحدة وجماعات تاريخية من مختلف أنحاء العالم (Smith, p. 1188)، وهذا أمر مهم على المشتغلين في قطاع السياحة بشكل عام الانتباه له، وهو كيفية تغير التفسير الإنساني لمواقع الألم والمعاناة، وكيفية استغلالها سياسيا لخدمة أجندات سياسية ضمن استراتيجيات القوى الناعمة لبعض الدول.

د - متحف الإبادة الجماعية في تول سيلينغ

يعد متحف الإبادة الجماعية في تول سيلينغ ومركز الإبادة الجماعية في تشويونج إيك، الموقعين التاريخيين الوحيدين اللذين تم إنشاؤهما حتى الآن كمؤسسات متحفية في كمبوديا لتمثيل جرائم نظام الخمير الحمر (1975 - 1975)، النظام الذي أرتكب مجازر كبرى في حق الكمبوديين خلال مدة حكمه التي بلغت ثلاث سنوات وثمانية أشهر وعشرين يوما (1975 - 1979) بزعامة "بول بوت Pol Pot"، فلقد أراد الخمير الحمر تحقيق مجتمع زراعي مكثف ذاتيا من خلال تدمير مؤسسات الدولة السابقة، بما في ذلك المدارس والمعابد والصناعات والمصانع، وقتل المثقفين والمهنيين والرهبان، ومنع الدين والتقاليد، واستبدال العلاقات الأسرية العميقة الجذور بمنظمة "أنغكار" المجهولة

السياحة المظلمة: الاستثمار في المآسي والتاريخ من أجل صناعة المقصد السياحي

، وكانت السياسة التي طبقها نظام الخمير الحمر والتي سميت — "القفزة العظيمة إلى الأمام" أحد أكثر السياسات تطرفا مقارنة بسياسات اجتماعية أخرى حاول نظام أو حكومة ما تطبيقها على الإطلاق، والتي تسببت في وفاة ملايين السكان (حوالي 25-30٪ من إجمالي السكان أي قرابة 1.5 مليون كمبودي نتيجة الإعدام، الجوع، والمرض) (Permanent Delegation, 2020).

في وقت لاحق بعد نهاية حكم نظام الخمير الحمر العام 1979، تم تحويل مكتب الأمن S-21 الذي أسسه في مدرستين متجاورتين في مدينة "بنوم بنه Phnom Penh" عاصمة البلد اليوم، إلى متحف مخطط لذكرى المجازر التي ارتكبت في هذا المركز في حق الآلاف من الكمبوديين، لقد أصبح الموقع محمي منذ شهر جانفي 1979 - السنة التي تم تحويله فيها إلى متحف - حيث كان شاهدا على عمليات إحضار السجناء وتصويرهم واحتجازهم وتعذيب العديد منهم واستجوابهم وإعدامهم أو نقلهم بعيدا لقتلهم، تقدر الأبحاث الحالية أن 18.063 رجلاً وامرأة وطفلاً كانوا محتجزين في S-21، أما عن كونه مقصد للسياحة المظلمة فإن التقديرات خلال العام 2019 قد أوضحت أن عدد زواره بلغ نصف مليون زائر في السنة (Permanent Delegation).

إلى جانب هذه المواقع التي كانت مسرحاً لأحداث مهولة عنوانها المأساة والمعاناة والموت، توجد مواقع سياحية أخرى ذات الطبيعة المظلمة منتشرة عبر العالم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر موقع "بومبي Pompeii" بالقرب من خليج مدينة نابولي في إيطاليا، والذي كان مسرحاً لما يعرف تاريخياً بثوران بركان "فيزوف" خلال القرن الأول الميلادي، حالياً يزور الموقع ملايين البشر سنوياً لمشاهدة الآثار التي خلفها البركان الذي دمر ودفن مدينة "بومبي" تحت الرماد لمدة 16 قرن حتى تم اكتشافها في خلال القرن الثامن عشر، أيضاً يزور الناس مدينة "هيروشيما Hiroshima" في اليابان والتي تم قصفها بالقنبلة النووية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية نهاية الحرب العالمية الثانية والتي خلفت أكثر من 80 ألف قتيل، الحدث الذي تم تخليده عبر نصب تذكاري في حديقة السلام التذكارية في وسط المدينة، التي يزورها حوالي المليون زائر سنوياً، أيضاً يوجد موقع برج التجارة العالمية (أرض الصفر Ground Zero) في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، البرجين الذين تعرضا لهجوم إرهابي في 11 سبتمبر 2001، أصبح موقع البرجين في وقت لاحقاً مقصد سياحي يزوره الآلاف من السياح سنوياً، أيضاً يسافر الناس لزيارة مدينة "تشيرنوبيل Chornobyl" في أوكرانيا والتي شهدت خلال العام 1986 انفجار مفاعلها النووي، وبحيرة "الدب" في رومانيا، موقع مذبحه "نانجينغ Nanjing" في الصين أين قتلت قرابة 300 ألف صيني أو يزيد من طرف الجيش الياباني العام 1937 - 1938 خلال ستة أسابيع.

4. فرص خلق مقاصد للسياحة المظلمة في الجزائر

رغم تزايد الاهتمام بأنشطة السياح المظلمة في الكثير من دول العالم، التي اتجهت نحو الاستثمار في المراحل المظلمة من تاريخها، ذلك عبر تحويل المواقع التي شهدت أحداثاً مأساوية كموت الكثير من البشر بطرق بشعة بعد تعرضهم

للمعاناة، إلى مقصد سياحي تستفيد منه الدولة اقتصاديا من خلال تنويع مصادره الدخل، وأيضا توفير فرص عمل لأعضاء المجتمعات المحلية، فإن موضوع السياحة المظلمة في الجزائر مازال يبدو غريبا للوهلة الأولى، على اعتبار أن هذا النمط من السياحة لا يحظى باهتمام السائح الجزائري أولا، كما أن الدولة الجزائرية عبر أجهزتها المسؤولة عن تطوير القطاع السياحي لم تليه بعد العناية اللازمة ولا الاهتمام ثانيا، ليظل بذلك التفكير في اختيار زيارته مواقع سياحية مظلمة إلا الآن مغيب عن ذهن السائح الجزائري أو غير معلوم بالضرورة لديه، حتى إن كان يمارس هذا النشاط دون علم عن محتواه والفلسفة التي تحكمه بالأساس، باستثناء ربما المختصين من الأكاديميين بموضوعات السياحة بشكل عام من خلال بعض من انتاجاتهم الأدبية والبحثية.

هذا لا يعني أن الجزائر بمساحتها الشاسعة لا تتوفر على مواقع عديدة يمكن تصنيفها في خانة مقاصد حقيقية للسياحة المظلمة، فتاريخ الجزائر الممتد عبر الزمن، كان شاهدا على مراحل مظلمة عاشها الإنسان الجزائري وتعرض فيها للموت والمعاناة فرديا وجماعيا، لا سيما خلال الفترة الاستعمارية الممتدة بين العامين 1830-1962، أين نفذ الاحتلال الفرنسي مجازر في حق الإنسانية كان الجزائري ضحيتها، بالتالي وجب تخليدها لا من أجل جعلها مقصد سياحي فقط، بل للحفاظ على الذاكرة الجماعية للجزائريين، ومنه ضمان أن تتعلم الأجيال الجديدة من الجزائريين مفهوم المعاناة التي كانت من نصيب أسلافهم في تلك الفترة من تاريخ الجزائر، وأيضا لاختبار بشاعة الموت عبر زيارة مثل هذه المواقع التي شهدت هكذا أحداث، والتي نذكر منها على سبيل المثال (حاروش، 2021):

- مواقع لمجازر جماعية على غرار حادثة القتل الجماعي لحوالي 500 شخص حرقا من طرف القائد في الجيش الفرنسي الجنرال "سانت أرنو" في مغارة قرب بني مناصر — بشرشال، وعليه يمكن جعل هذه المنطقة موقعا هاما للسياحة المظلمة، من خلال تقيته والتعريف به للزوار أكانوا محليين أم أجنبيا.
- جامع "كثشاوة" الشهير في العاصمة الجزائر، الذي حولته السلطات الاستعمارية إلى كنيسة بعد أن أباد الجيش الفرنسي حوالي 4000 مصلي اعتصموا به، حيث يمكن تقيته هذه المواقع وجعله قطب سياحي مظلم يساهم في فهم معنى الإنسانية بالنسبة للمحتل الفرنسي، ومنه التعريف بما عاناه الجزائريين من مآسي وموت خلال تلك الفترة العصيبة من تاريخ البلد.
- مواقع مجزرة البليدة والعوفية التي ارتكبت في حق الجزائريين، وكان المشرفين عليها قادة جيش الاحتلال الجنرالين "كلوزيل" و"روفيقو"، ذلك خلال الأيام الأولى من بداية الاحتلال.
- السجون والمعتقلات ومواقع التعذيب التي أقامها الاحتلال الفرنسي طوال 132 سنة من الاحتلال، على غرار سجن بربروس أو سركاجي الذي شهد أيام ثورة تحرير تنفيذ عمليات إعدام باستعمال المقصلة في حق الكثير من الجزائريين كان أولهم الشهيد "أحمد زبانه" بتاريخ 19 جوان 1956.

السياحة المظلمة: الاستثمار في المآسي والتاريخ من أجل صناعة المقصد السياحي

- مواقع التجارب النووية الفرنسية في صحراء الجزائر بين العامين 1960 و1966، بالضبط في منطقة "رغان"، التي شهدت أربع تفجيرات نووية فرنسية أشهرها تلك الأولى التي حملت تسمية "الجربوع الأزرق"، وكذلك منطقة "عين إيكر" بجبال الهقار التي شهدت ثلاثة عشر تفجير نووي فرنسي تم تحت الأرض.

هكذا نوع من المواقع هي منتشرة عبر أرجاء البلاد الجزائرية، وهي فقط تعود إلى فترة الاستعمار الفرنسي الذي غطى فترة مظلمة من تاريخ البلاد، هذا دون العودة إلى مراحل متأخرة من التاريخ، لذا لا يمكن إنكار أن الجزائريين قد يمارسون أنشطة السياحة المظلمة دون وعي أو قصد منهم أو بالأحرى دون تسمية هذا الأنشطة باسمها كسياحة مظلمة، حيث يزور الجزائريين الكثير من المواقع التي شهدت أحداث الموت والمعاناة التي كان أسلافهم ضحايا لها، لدوافع مختلفة كالاستكشاف والذكرى، أو فقط من أجل الزيارة، أو أن يكون الغرض من الزيارة تعليمي بحث لو كان ممارسوه تلاميذ المدارس تحديداً، بالتالي يبقى موضوع تطوير الخارطة السياحية الجزائرية عبر تامين وإعادة تخليد مثل هذه المواقع من صميم مهام الدولة الجزائرية التي لن يكون بالنسبة لها الاستثمار في تاريخها ومراحلها المظلمة ليس بالشيء الكبير.

إن الأمر ككل يحتاج إلى عمل وتظافر الجهود مختلف الفاعلين والمشتغلين في قطاع السياحة، من أجل خلق مقاصد سياحية "مظلمة" لا بغرض السياحة والفرجة وفقط كما أسلفنا، بل من أجل صيانة التاريخ والتعريف بالهمجية التي ارتكبت في حق الجزائريين في فترات مختلفة من تاريخ بلادهم، خاصة القضايا المتعلقة بالتفجيرات النووية الفرنسية التي خلفت آثاراً مستمرة حتى اليوم، وشواهد على عقلية المستعمر وكيفية تعامله مع معاناة الجزائريين، الذين ألحقت بهم سياسات فرنسا الكثير من الضرر والألم والمعاناة، بل وأحدثت زعزعة في هويتهم الوطنية، لذا فإن دعم وتطوير هذا النوع من السياحة في الجزائر، هو فرصة حقيقية لتحقيق جملة من الأهداف السياسية والاجتماعية وكذلك ثقافية ولما لا الاقتصادية طبعاً.

● الخاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية، يمكن القول أن السياحة المظلمة أو السوداء مهما تعددت تسمياتها أو اختلفت، تبقى بمثابة نوع غير التقليدي من النشاط السياحي يتجاوز فكرة تسليع المقاصد السياحية، له زبائنه ممن يرغبون في زيارة مواقع شهدت مآسي وحوادث موت وكانت شاهد على مراحل من معاناة أعداد قد تكون كبيرة من البشر، لقد تضاربت التفسيرات حول الأسباب التي تدفع مجموعة من الناس يختارون زيارة هذه المواقع، ورغم أن هذا السلوك قد لا يعتبر مفهوماً، فإن الشيء الأكيد أن أعداد هؤلاء أخذت تتزايد عبر العالم بشكل ملاحظ خلال السنوات الأخيرة، بحيث أصبحت منتجات هذا النمط من السياحة تنافس أنواع السياحة الأخرى المعتادة أو التقليدية، أما الدول من جهتها وللاستفادة المادية بالدرجة الأولى من النشاط السياحي، فقد توجهت نحو إعادة الاعتبار لمثل هذه المواقع عبر

تجديدها وجعلها مناسبة للنشاط السياحي، إنه الاستثمار في التاريخ المظلمة من أجل خلق مقصد سياحي جديد وغير تقليدي، ليس من أجل المتعة التي قد يتغير معناها في هكذا نوع من السياحة أو العوائد الاقتصادية فقط، بل لاعتبارات تاريخية وتعليمية ولأجل الذكرى واستدكار معاناة البشرية في سبيل شيء ما في مرحلة ما من الزمن، ولتخليد معاناة البشر وعدم التكرار لها، وهذا بالضبط ما يمكن الاستفادة منه عند الحديث عن الحالة الجزائرية، التي يمكن للشغف بقطاع السياحة وفي مقدمتهم وزارة الثقافة بها العمل على ما يلي:

- الاستثمار في المواقع التي شهدت أحداث مظلمة في مختلف مراحل تاريخ الجزائر لا سيما مرحلة الاحتلال الفرنسي، وذلك بتجديدها وحمايتها من التخريب أو التلف، من أجل جعلها مقصد سياحي خالص يوفر كافة الخدمات ذات الصلة بالنشاط السياحي.
- إنجاز حملات إعلامية لهذه المواقع باستغلال ما توفره تكنولوجيا الاعلام في عالم اليوم، من أجل التعريف بها للمواطن الجزائري أولاً، حيث أن الصورة الإعلامية مهمة لاستثارة المشاعر، ثم السائح الأجنبي ثانياً، ولك لزيادة الوعي وتذكيره بتضحيات أسلافه بالنسبة للأول، وجذب الأعداد الكبيرة ممن يملكون الشغف بزيارة هكذا مواقع بالنسبة للأجانب، على افتراض أن هذه الفئة من السياح عبر العالم أعدادها تتزايد سنوياً.
- الاهتمام بمواقع السياحة المظلمة من منطق الترويج للسردية الجزائرية حول فترة الاحتلال الفرنسي، وتقديم رسائل قوية تعف الآخر من غير الجزائريين بجرائم الاحتلال وحجم المعاناة التي طالت الجزائريين في مرحلة من تاريخهم، ومنه تفنيد السردية الفرنسية، بأنهم كانوا حاملين رسالة المدنية والحضارة للشعوب الأخرى خلال العهد الاستعماري في القرنين التاسع عشر والعشرين.
- توجيه الزخم الأكاديمي نحو دراسة هذا النمط من السياحة والتفكير في كيفية تطويره في الجزائر، وهذا مهم للغاية من أجل تحقيق الغايات الأسمى لهذا النمط من السياحة فيما يتعلق بالحفاظ على حياة الذاكرة الوطنية، وكذلك لخلق مقاصد سياحية جديدة بإمكانها أن تساهم في اقتصاد الوطن، عبر توفير مورد للعلمة الصعبة وخلق فرص عمل للمجتمع المحلي.

- قائمة المراجع

أولاً: باللغة العربية

- المقالات

1. محمد طارق السباعي. (2022). تنشيط السياحة المظلمة في مصر بين الواقع والتحديات بالتطبيق على محافظة الإسماعيلية. *Journal of Tourism, Hotels and Heritage*, 5(2)، الصفحات 251 - 267.

2 . نجاة قاسي. (2019). السياحة المظلمة: مقارنة نظرية. مجلة الاجتهاد القضائي، 11 (1)، الصفحات 233 - 252.

– المواقع الالكترونية

3 . ليث مشتاق. (07 أبريل، 2024). رواندا تحيي الذكرى الـ 30 لآخر إبادة جماعية في القرن العشرين. تاريخ الاسترداد 26 أوت، 2024، من الجزيرة نت: <https://bit.ly/3Z0KclM>

4 . نور الدين حاروش. (14 نوفمبر، 2021). السياحة المظلمة في الجزائر... واقعها وآفاقها المستقبلية. تاريخ الاسترداد 13 سبتمبر، 2024، من أفريكا news: <https://bit.ly/471rxs5>

ثانيا: باللغة الإنجليزية

– Articles

5. Assylkhanova, A., & Others. (2024, December). A critical review of dark tourism studies. *Hungarian Geographical Bulletin*, 73(4).
6. Duncan, L. (2017, August). Progress in dark tourism and thanatourism research: An uneasy relationship with heritage tourism. *Tourism Management*, 61.
7. Stone, P. (2006). A Dark Tourism Spectrum: towards a typology of death and macabre related tourist sites, attractions and exhibitions. *Tourism: An Interdisciplinary International Journal*, 54(2).
8. Stone, P. (2022, Summer). Atlas of Dark Destinations—Explore the World of Dark Tourism by Peter Hohenhaus. *Journal Of Scientific Exploration*, 36(2).
9. Smith, W. (2002). Dark Tourism: The Attraction of Death and Disaster. *Annals of Tourism Research*, 29(4).

– Websites

- 10 . Dalka, D. (2010). “House of Terror Museum Visit in Budapest, Hungary | Nazi and Soviet Headquarters. Retrieved Aug 26, 2024, from Remember.org: <https://bit.ly/3Mjl8xx>
- 11 . Museum, A.-B. S. (n.d.). KL Auschwitz-Birkenau. Retrieved Aug 27, 2024, from Auschwitz-Birkenau State Museum: <https://bit.ly/3T50juG>
12. museums.eu. (n.d.). House of Terror. Retrieved Aug 26, 2024, from museums.eu: <https://bit.ly/3Z54sTv>
- 13 . Permanent Delegation, o. (2020, March 27). Former M-13 prison/ Tuol Sleng Genocide Museum (former S-21)/ Choeung Ek Genocidal Centre (former Execution Site of S-21). Retrieved Aug 30, 2024, from <https://bit.ly/472Bwx7>

14. Stone, P. (2005). *Dark Tourism – an old concept in a new world*. Retrieved December 16, 2025, from bepress: <https://bit.ly/3ZvtREy>
15. Una - Europa. (2021, November). *The concept of dissonant heritage*. Retrieved Jul 28, 2024, from Jagiellonian University: <https://bit.ly/3yeDVli>